

في حضرة النكبة

غدأ عيد ميلادي الثلاثين. ستتصل أمي كما في كل عام لتعايد علي، وحتماً ستكرر اعتذارها لأنها لم تلدني في تاريخ آخر أقل كآبة من يوم النكبة. مع الوقت تعلمت أن أرد عليها بأن اللوائح الفلسطينية برمتها نكبات، فترد «المهم الله اعطاني إياكي». ثنائية الله والأمهات التي لا يبطل سحرها في أي مناسبة وتحت أي ظرف تلقي النكبة لدقائق وتدفع بها إلى مؤخرة الذاكرة، صائفة ما أعده ذروة ذلك اليوم، لأتدحرج بعدها إلى هاوية من الكآبة.

لا تفرق افتعالية أعياد الميلاد عن المناسبات الوطنية بشيء، إذ أنها باتت للبعث - وأرجح أننا كثر - فرضاً اجتماعياً ووطنياً يبلي نمط استدكار وفقاً لشاعر جاهزة من الفرح في الأولى والحرز في الثانية. لم أتحمق من تاريخ كل منهما حالى مع شغف تقصي الأشياء وكيف أن موعد ولادة أي شيء (أو موته أحياناً) هو وليد الصدفة الحظ. تاريخياً، هو اليوم التالي لانتهاج الانتداب البريطاني في أرض فلسطين وفقاً لتقسيمات «سايبكس بيكو»، وإعلان المنظمات الصهيونية قيام دولة إسرائيل. حدث يطلقون عليه هم «يوم الاستقلال»، وهو أصلاً متغير بحسب التقويم العربي ولا يتفق أن يتزامن مع الخامس عشر من أيار/مايو إلا مرة كل تسعة عشر عاماً.

كتابة الكارثة

بعيداً عن كل هذا العناء الفلسفي في التكبر على الصدفة إياها، بل ورميها إلى خارج التاريخ.. ففي كل عام وأنا ألتهم كعكة عيد ميلادي، رغم ما تكون قد خزنته رثائي في الأسابيع السابقة من داخمين شواء ورماد ألعاب نارياً تملأ الهواء المحثفي باستقلالهم أينما يمت نفسك، كنت أتعبك تبذل تضاريس النكبة في داخلي كمن يتفرج على ألبوم طفولته بعناية مفرطة. لا شيء يمحو الصورة الأولى للنكبة: الناس وهي تحمل ثيابها وأثائها وأهلها على ظهورها وتلوذ إلى وجهه غير مسماة تمسكاً بالحياة التي يطش بها هؤلاء. هؤلاء الذين ما تزال - نحن دون غيرنا - نعيش بينهم ومعهم طليق اللسان مكبلي الأفق. بيد أني أجد نفسي أتقرب كل عام من النكبة المنكبة على الحياة في داخلي، حيث أكتشف مدى عيشنا «تحت رقابة الكارثة» وهي «التي تحيط الأشياء جميعها بعنايتها»، كما يقول

كيف تكتب (ونحكي) عن الكارثة دون أن نموت؟ دون أعضاء مبتورة أو أخرى تالفة؟ كيف نحكي عن حياتها فينا وعبرنا نحن الأحياء الذين نعيش في صليها بنفاصيل حياتية رتيبة تحدد في النهاية - أسوة بكل البشرية - خياراتنا الإنسانية اليومية التي لا غنى عنها؟ ليس سؤال الكتابة ترفاً الآن ولا في أي وقت، إذ أن عدم القدرة على الوصول إلى هذه التفاصيل وبالتالي عدم القدرة على التعبير عنها، هو واحد من أهم سمات العيش تحت سلطة النكبة لجيل لم يعيشها.

الكتابة عن فلسطين هي بالضرورة كتابة عن العنف، ولا يمكن الفرار من ذلك ولو كنت نفسك مسالماً أو تحاول. وذلك بوصفنا نعيش في ظل منظومة يُد «الإيمان على العنف»، وليس العنف بذاته فحسب، مركباً أساسياً في قوامها، كما أشار فايز صايغ، مؤسس مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية بأبحاثه حول المركبات الاستعمارية للصهيونية في فلسطين في أواسط الستينيات، سابقاً بكبير التنظير الحالي لنظريات الاستعمار الاستيطاني وما بعده. مر أكثر من نصف قرن والإيمان على حاله، فيما ازدادت صيغ عنف جديدة تحمل سمة الثورية إلى جانب - أو بدل - العنف المباشر من قتل وهدم وحبس وترهيب، وهذه متفحفة بيننا وفيها بدرجات محكمة ودقيقة إلى أبعد حد، بطبيعة كونها عنصراً أساسياً

في خياراتنا اليومية كأفراد وكمجتمع قائم في قلب مجتمع استعماري.

المواطنة امتداداً للنكبة

يجيا الفلسطينيون من حملة الجواز الإسرائيلي (بغالبيننا)، في العقود الثلاثة الأخيرة على الأقل، في وضع معيشي وحياتي أفضل من غيره على صعيد فلسطين المحتلة، ووفقاً لكثير، على صعيد العالم العربي بمجمله أيضاً. وإن كان لا يمكن فصله عن الثمن المفقود به من خراب المجتمع الفلسطيني وتفتيته من الداخل. ويشكل هذا التصنيف فاتحة لفهم تهاوي اللغة - المقضومة أصلاً بفعل استسراء اللغة العبرية - في شرح معنى العيش في فلسطين وفي الوقت ذاته خارجها. اتبعت إسرائيل سياسة «امتيازات» عملت على تصنيفنا فلسطينياً في قاع سلم الاحتلال، أي يكوننا الأقل معاناة من الاحتلال. ودرجت تسميتنا بين فلسطيني الضفة الغربية وقطاع غزة يعرب ال «شميمنت»، وهو منتج وطني إسرائيلي شبيه بالبن، وذلك للدليل على الخنوع للاحتلال. فعلى لا تُستقى هذه الامتيازات من كوننا نوعاً آخر من الفلسطينيين، وإنما من المواطنة الإسرائيلية التي فرضت كشرط للبقاء في البلاد. ويشكل هذا الفرض للجنة الأولى في فهم المواطنة كتكنولوجيا استعمارية متقدمة - وهي بالنسبة ليست حصرية لإسرائيل ولا للفلسطينيين - إذ تعمل على ضم

**تكنم كارثية المواطنة الاستعمارية
بكونها فعلاً عنيفاً يومياً تمارسه
أنت ذاتك لكي تعيش: تتعلم وتعمل
وتتزوج وتبني أو تستأجر بيتاً
وتنجب وتمرض وتهرم وتموت
في داخلها ووفق آلياتها.**

الناس تحت سلطتها من أجل إقصائهم عبر قوانينها عن امتدادهم التاريخي والسياسي بالأرض وما تحمله من مادة وثقافة وتاريخ وخواص اجتماعية.

تكنم كارثية المواطنة الاستعمارية بكونها فعلاً عنيفاً يومياً تمارسه أنت ذاتك لكي تعيش: تتعلم وتعمل وتتزوج وتبني أو تستأجر بيتاً وتنجب وتمرض وتهرم وتموت في داخلها ووفق آلياتها. هي بذلك تصيغ بشبكتهما الواسعة والمتناقلة من جيل إلى آخر، خياراتنا وعمدها، على مختلف المستويات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وعادة ما تغفل التنظيرات المناهضة لخطاب المواطنة أو المساندة له عن هذه الحقيقة، فتقفز عن واقع كونها ناتجة في النهاية عن مجموع أفعالنا وتردداتها في الحياة اليومية. تلجأ التنظيرات إلى تصنيف الفلسطيني «المواطن» وفق معايير جزئية، أبرزها المشاركة السياسية والخطاب التماهي مع الهوية الإسرائيلية، في حين تشكل هذه حلقة من سلسلة متراكمة لا تقتصر على الفرد وعلى جيله وحسب.

ولا ينفصل تغليب الحاضر على الماضي في مجمل حياتنا اليومية الآتية عما أشار إليه المورخ إريك هوبزباوم في كتابه «عصر التطرف»، كواحد من أبرز الظواهر الخفية لأواخر القرن العشرين: «تدمير الماضي أو بالأحرى الآليات الاجتماعية التي تربط تجربة المرء المعاصرة بتجربة أجيال أسبق، بحيث أن معظم الأجيال الشابة في نهاية القرن، تنشأ في شكل من أشكال الحاضر الدائم الذي يفتقر إلى أي صلة عضوية بالماضي العام للأزمة التي يعيشونها». وقد أتى خراب الماضي الفلسطيني على الحاضر بتحويله مكاناً معزولاً عن النكبة وعن

الإحتجاجات والوضع الاقتصادي: الجزء الثاني من بحث «العدالة الاجتماعية والانتفاضات العربية»، حيث النتائج تظهر أن أغلب المحتجين ليسوا الأفقر مداخلياً. والشرق الأوسط: نظرة عامة على «اللحظة».

أطراف فلسطين تتلاشى: مقارنة بين أوضاع القدس المسحوقة ومدينة رام الله المزدهرة. وفي الزاوية الحمراء، وبمناسبة يوم النكبة في 15 أيار/مايو، كيف أسكتت الأمهات أطفالهن عام 1948.

عيد العمال في المغرب «بين النقابة والبورصة». وفي «بألف كلمة»، تحية للفنانة العراقية الراحلة منذ أيام، وسماء الأغا. والصور الفوتوغرافية في العدد من مشروع «مكملين» لتوثيق حكايا عائلات فلسطينية مهجرة.

أفق مفتوح على الدمار

لكانت التوترات حول قمة كامب دافيد هذا الأسبوع بين الولايات المتحدة ودول مجلس التعاون الخليجي مسلية لولا أنها تمرين يكشف واقعاً قاتماً. مسلية هي دعوة الرئيس الفرنسي لحضور قمة دول ذلك المجلس - بشكل «استثنائي وغير مسيوق» بالنسبة لزعيم أجنبي - قبل أسبوع من اجتماع كامب دافيد، وشراء قطر 24 طائرة رافال فرنسية (ثمنها 6.3 مليارات يورو، وقد وقع العقد الرئيس شخصياً)، وكشف وزير الخارجية الفرنسي، فرحاً، عن مفاوضات حول 20 مشروعاً مع السعودية ب «عشرات مليارات اليورو» (قال إن بعضها سيكون فوري التنفيذ). وكل ذلك يتجول في الصحافة الفرنسية وفي كلام المسؤولين هناك إلى حسابات للأرباح والأمال بإعادة تشغيل المصانع.. قد لا يتناسب هذا مع الأناقة الفرنسية المعهودة، ولكن للأزمة الاقتصادية الطاحنة أحكامها. كما أن الانكشاف اللفظ لمبلغ تعييش الدول الكبرى على الحروب (التي تتطلبها الصناعة الحربية) يعفي الباحثين من تعب تقديم الأدلة.

أما أن يعني ذلك أن دول الخليج تبتز واشنطن بباريس فشان خطير، لأنه قد يتسبب بأخطاء فادحة في الحسابات، ويقود إلى مغامرات وإلى التورط في مزيد من الحروب، بما يتجاوز قدرات فرنسا الفعلية، ولو هو أفرح بنوكها وصناعيها.

وحين يزعل الملك سلمان ويلغي حضوره الشخصي في قمة كامب دافيد، هو وثلاثة زعماء خليجيين سواه، ويرسلون إلى أوباما أولياء العهد، لأن واشنطن ليست بصدد عقد معاهدة دفاع مشترك مع دول المجلس كما تطلب هذه الأخيرة، بل تنحو إلى الالتزام بتطمينات عديدة، وأسلحة، ومناورات مشتركة وتدرجات، وحتى بمنظومة الدرع المضاد للصواريخ، بينما يريد الخليجيون معاهدة «مكتوبة» يعتبرونها وحدها مكافئ الاتفاق المتوقع مع إيران حول برنامجها النووي. حين يحدث ذلك، فثمة خطب. أولاً في فهم الواقع الدولي (وهو على أية حال متغير ومتشقق)، وثانياً في النتائج.

مرعب ألا يوضع أمام الأبخصار هدف مرضي سوى هزيمة الطرف الآخر في هذا الاستقطاب الجنون. سحقه وإخضاعه، سواء في المحصلة العامة أو في الميادين المختلفة للمواجهة. فذلك يعني حرباً/حروباً بلا حدود، من مستلزمات ما أن يعم التشنج على الناس أجمعين عبر الآلة المذهبية التي تتغذى من الأقوال والأفعال المتبادلة. فهل ننتظر حتى يقع ملايين الضحايا ويلحق الخراب والدمار بالجميع... وعلى ذلك لن يتحقق «الهدف». أفلا تعقلون؟

نهلة الشهال



«إحنا من حطين، مين ما بيعرف حطين؟ لما كان الشيخ يذكر «جناث تجري من تحتها الأنهار»، ما كنت شوف غير حطين، شي يوم مش بعيد رح نرجع أرضنا، الأرض اللي كل جيوش الدنيا مرقت من فوقها وراحت، وبقيت حطين». (أمين محمد سعدي، قرية حطين المهجرة / تصوير علاء دلاشة).



«الأرض تصادرت وضلت أرواقها معنا، كل مرة بقتروا علينا نبيع الأرض أو يعطونا أرض بديلة مقابل انو نتنازل عن هالأوراق. لو يعطونا كنوز الأرض مش رح نسلّمهن الأوراق. هاي مش بس أوراق ملكية، هاي حق ما بضيع». (سعيد خطيب أبو الهيجا، قرية «الحدثة» المهجرة / تصوير فريد ناصر).

800 مليون دولار هي قيمة المساعدة المالية التي يعتزم صندوق النقد الدولي تقديمها للعراق، بناءً على طلب بالمساعدة تقدمت به بغداد. وتتوقع الحكومة العراقية عجزاً يصل إلى 25 مليار دولار في موازنة العام الحالي التي يصل حجمها إلى نحو 100 مليار دولار.

«العدالة الاجتماعية والانتفاضة العربية»

الاحتجاجات والوضع الاقتصادي

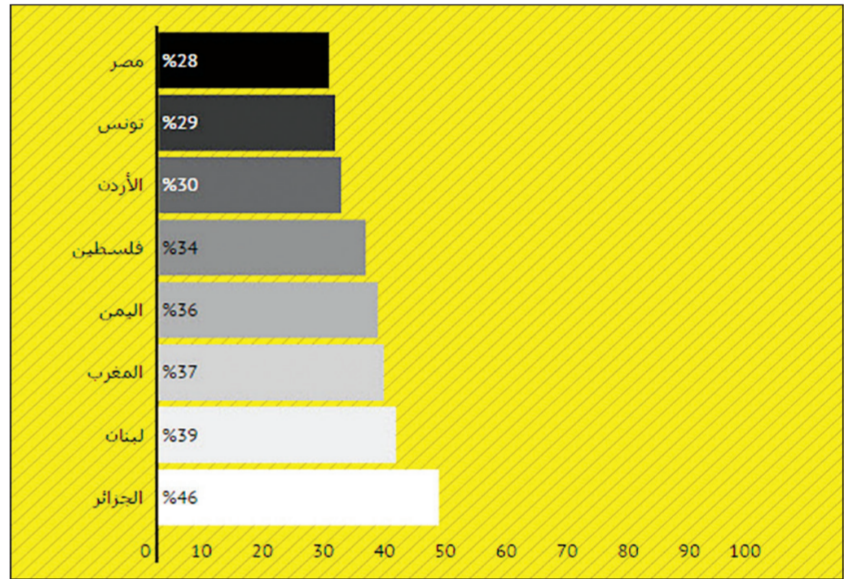
الجزء الثاني من دراسة «العدالة الاجتماعية والانتفاضات العربية»، وهو بحث تشارك في تأليفه كلٌّ من أماني جمال من جامعة برنستون ومايكل روبنز من «الباروميتر العربي»، وأصدره «برنامج العدالة الاجتماعية وسياسات التنمية»، في معهد عصام فارس للسياسات العامّة والشؤون الدوليّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت، بالتعاون مع مركز ممدوحة س. بويست للسلام والعدالة في جامعة برنستون، بتمويل من مؤسسة إلمر وممدوحة بويست في نيويورك.

المساواة الاقتصادية

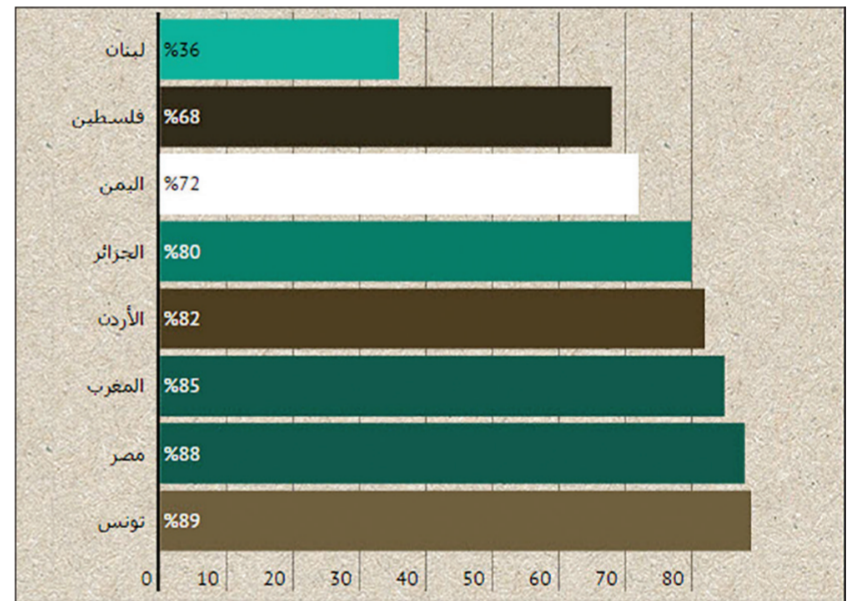
عادةً ما يُطرح الإحباط الاقتصادي كواحدة من القضايا الأولية - إن لم تكن الأساسية - التي أدت إلى اندلاع الاحتجاجات الشعبية في العالم العربي في عام 2011. وتؤكد هذه الرواية أن المواطنين في كثير من البلدان العربية، وخصوصاً منهم الشباب، أحبطتهم سنوات من الركود الاقتصادي وارتفاع معدلات البطالة. ويعدّ تحسّن المداخل الاقتصادية وارتفاع نسب المساواة الاقتصادية عنصرين أساسيين في تعزيز مستويات العدالة الاجتماعية بعد

الربيع العربي. وبغية قياس التغيرات المحتملة في المداخل الاقتصادية، تركّز باختصار على أربعة مؤشرات هي: الرفاه الاقتصادي، الإشغال بالقضايا الاقتصادية، حال العمالة، والرغبة في الهجرة. (الشكل رقم 1)

يكشف الباروميتر العربي أنّ أقلية بحسب من المواطنين هي التي تعيش في أسر يكفي فيها دخل الأسرة لتلبية احتياجاتها. وتبيّن الدورة الأخيرة من عمليات المسح أنّ أقل من النصف في كل بلد هم الذين يقولون إنّ لديهم من المال ما يكفي لتغطية نفقاتهم أو لإدخار بعض منه، وعموماً،



الشكل رقم 1: الفالون إنّ مدخلهم كافٍ لتغطية نفقاتهم ولإدخار



الشكل رقم 2: الفالون إنّ الوضع الاقتصادي هو أهمّ التحديات

المواطنين في بلدين - هما اليمن ومصر - قالوا إنّ دخل أسرهم بات أكثر كفاية (18 نقطة و7 نقاط، على التوالي).

ربما تعكس هذه النتائج نوعاً من الاستقرار أو - في بعض الحالات - نوعاً من الانتعاش الاقتصادي راجع بفعله في السنوات التي تلت ذلك، حقيقة أن بعض المواطنين قد ضبطوا نفقاتهم نتيجة للاختلالات الاقتصادية التي نجمت عن الربيع العربي. غير أنّ ما يُشار إليه في كلتا الحالتين، هو أنّه في حين لم يحسّن الربيع العربي المداخل الاقتصادية بشكل كبير،

فإنّ نسبة الجزائريين الذين يقولون إنّ لديهم دخلاً كافياً لتلبية احتياجاتهم هي الأعلى (46 في المئة)، يليهم اللبنانيون بنسبة الثلث أو أكثر (39 في المئة)، ثمّ المغاربة (37 في المئة)، فاليمينيون (36 في المئة)، فالفلسطينيون (34 في المئة). أما في بقية البلدان، فإنّ ما بين الربع والثلاثة أعيشار هم الذين يقولون إنّ دخل أسرهم يكفي لتلبية احتياجاتهم.

وعلى الرغم من الصلة الوثيقة بين الاحتجاجات والظروف الاقتصادية، فمن الملاحظ أنّ نسبة الذين شاركوا في الاحتجاجات ممن يتحدرون من أسر أفضل حالاً، كانت أعلى. وعلى سبيل المثال، فقد فاق المحتجون التونسيون غير المحتجين بـ 13 نقطة من حيث القول إنّ دخلهم يلبي احتياجاتهم. ونجد الفجوة ذاتها في اليمن (9 نقاط) والأردن (8 نقاط). وهناك اختلافات أقل أهمية في بلدان أخرى، غير أنّ الوضع الاقتصادي لغير المحتجين لم يكن في أي بلد أفضل من وضع المحتجين. (الشكل رقم 2) كثيراً ما سلّط الضوء على محنة الشباب العربي الاقتصاديّة كسبب للاحتجاجات، لكن اللوحة التي ترسمها المسوح للحجّات الأصغر سنّاً ليست لوحة قفر. إذ يقول مواطنون محتجون من جميع الأعمار إنّ دخلهم يكفي احتياجاتهم. من المرجّح أن تكون هذه النتيجة انعكاساً لحقيقة مفادها أنّ كثيراً من الأسر في البلدان العربية تضمّ أفراداً من أجيال متعددة، ما يعني أنّ الشباب المفقّرين لفرصة اقتصادية غالباً ما يعيشون مع والديهم أو أسرهم الممتدة.

نسبة الذين شاركوا في الاحتجاجات ممن يتحدرون من أسر أفضل حالاً، كانت الأعلى

فإنّ حال المواطنين العاديين يواجه عام لم يتعدّ أسوأ بكثير من ذي قبل.

أهمّ التحديات

يبين الباروميتر العربي أنّ المخاوف الاقتصادية لا تزال الشغل الشاغل لمعظم المواطنين العرب. يسأل المسح المستجيبين ما هما أهمّ تحديين يواجهان بلدهم من بين: الوضع الاقتصادي، والفساد، وتعزيز الديمقراطية، وحل القضية الفلسطينية، وتحقيق الاستقرار والأمن الداخلي، ووقف التدخل الخارجي وأشياء أخرى. وفي جميع البلدان ما عدا اثنين، قالت أغلبية بلغت السبعة أعشار أو أكثر إنّ الظروف الاقتصادية هي التحدي الأهم الذي تواجهه بلادهم. والمخاوف حيال الأوضاع الاقتصادية هي الأعلى في البلدين اللذين جرت فيهما الثورة، تونس (89 في المئة) ومصر (88 في المئة)، تليهما المغرب (85 في المئة) والأردن (82 في المئة). في حين تقل أهمية المخاوف الاقتصادية نسبياً في فلسطين (68 في المئة) ولبنان (63 في المئة). (الشكل رقم 3)

وعلى الرغم من أنّ الشباب العربي يعاني بشكل غير متكافئ لجهة معدلات البطالة وغيرها من المؤشرات، إلا أنّ المسح يشير إلى أنّهم يشيرون إلى الأجيال الأكبر في رؤيتهم أنّ الوضع الاقتصادي هو واحد من الشاغلين الأساسيين. والاستثناء الرئيس هنا هو فلسطين، حيث يفوق أولئك الذين يبلغون من العمر 18 - 29 عاماً بـ 15 نقطة من بلغوا الخمسين من العمر أو تجاوزوها في رؤيتهم أنّ القضايا الاقتصادية هي التحدي الأهمّ.

لا يبدو أنّ المداخل الاقتصادية قد ساءت كثيراً بسبب الاضطرابات المصاحبة للربيع العربي، وهذا بخلاف الدولي..

علاوة على ذلك، لا يبدو أنّ المداخل الاقتصادية قد ساءت كثيراً بسبب اضطرابات الربيع العربي. وهذه النتيجة تشير شيئاً من الدهشة بالنظر إلى ما تشير إليه تقديرات البنك الدولي من أنّ الاقتصاد التونسي تقلص بنسبة 2 في المئة في 2011. كما انخفض معدل النمو الاقتصادي في مصر في أعقاب الربيع العربي، في حين ابتلي بالمداخل الاقتصادية الرديئة كثير من البلدان الأخرى في المنطقة. غير أنّه ما من حالة قال فيها المواطنون إنّ دخل أسرهم كان أكثر كفاية منه في وقت الربيع العربي. بل إنّ

الشرق الأوسط: نظرة عامة على «اللحظة»

قدرة للعالم العربي في الوضع الحالي، فوادة مصر) وكذلك الجزائر) مؤمنة بالقوة وليس بالتوافق. والإخوان المسلمون يبقون قوة أساسية في البلد، أما الاقتصاد المصري ففي حالة سيئة نتيجة انهيار السياحة.

وما صفة السلاح الليبية التي بدأت تشعّر أوروبا بخطورتها (11000 لاجئ من ليبيا وصلوا إلى إيطاليا خلال النصف الأول من آذار/مارس لوجده... فلمصر السيسى دور عسكري في ليبيا، ولكن من دون مشروع نهضوي «فكري» عربي، وهي حالياً باقية تحت سقف الخليج من الناحيتين السياسية والاقتصادية.

انتهاء الفائض السعودي

كان من الممكن أن تلعب المملكة السعودية دوراً كبيراً في المنطقة من الناحيتين السياسية والاقتصادية، إذ يسمح لها موقعها بأن تكون صلة وصل بين كل الأطراف السياسية في المنطقة.. إلا أنه من الواضح أن هذا الدور لم يعد ممكناً نتيجة احتدام الصراعات، بالإضافة إلى تدهور العلاقات مع أميركا وإيران وتركيا، والانخفاض الهائل في سعر النفط. فغالبية الخليج في المنطقة العربية تعمر عن نفسها من خلال الفائض النفطي الذي اختفى كلياً. لا بل، إذا بقي سعر النفط على هذا المستوى، ستعاني الملكة هذه السنة من عجز كبير في ميزانيتها (حوالي 50 مليار دولار)، إذ ستخسر حوالي 120 مليار دولار، وهو نصف مدخولها. الملكة والخليج يمولون الكثير من الفئات والتنظيمات والدول في المنطقة: الصومال، اليمن، العراق، سوريا، لبنان.. وخاصة مصر (حوالي 20 مليار دولار لوجدها)، فهل سيتمكنون من الحفاظ على هذا المستوى من الصرف/الدفع؟

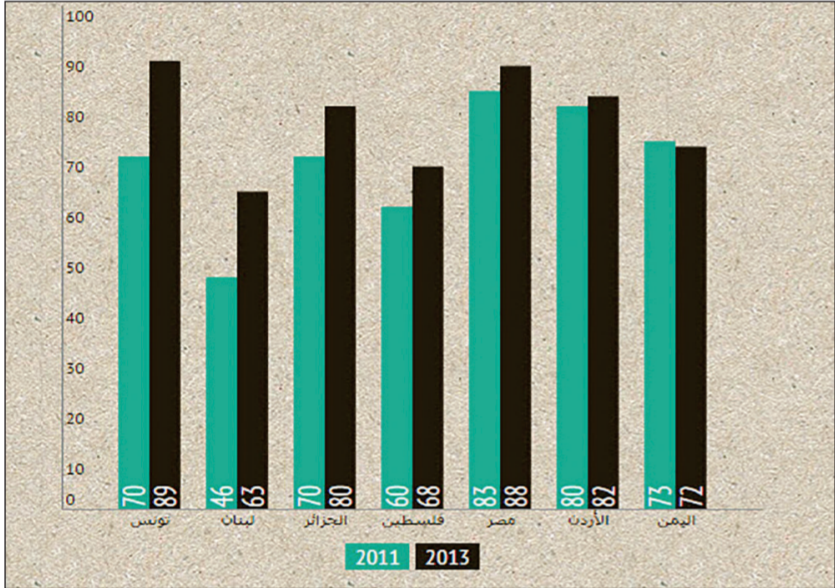
أما قطر فهي ربما الدولة الوحيدة في المنطقة التي سيبقى لها فائض مهم نتيجة قلة عدد سكانها بالنسبة لدخاها الوطني، وهذا على الرغم من الانخفاض الكبير في سعر الغاز. وهذا المعنى يرجح عودة قطر لمواجهة السياسية في

هل المنطقة العربية والبلدان المجاورة لها ذاهبة لا محالة إلى غفوة كبيرة من دون أي صحوة في الأفق، خاصة بعد انهيار سعر النفط وانتصارات داعش في العراق، أم أنّها على حافة صدام كبير ما كان النفط وداعش إلا أولى مؤشراتهما؟

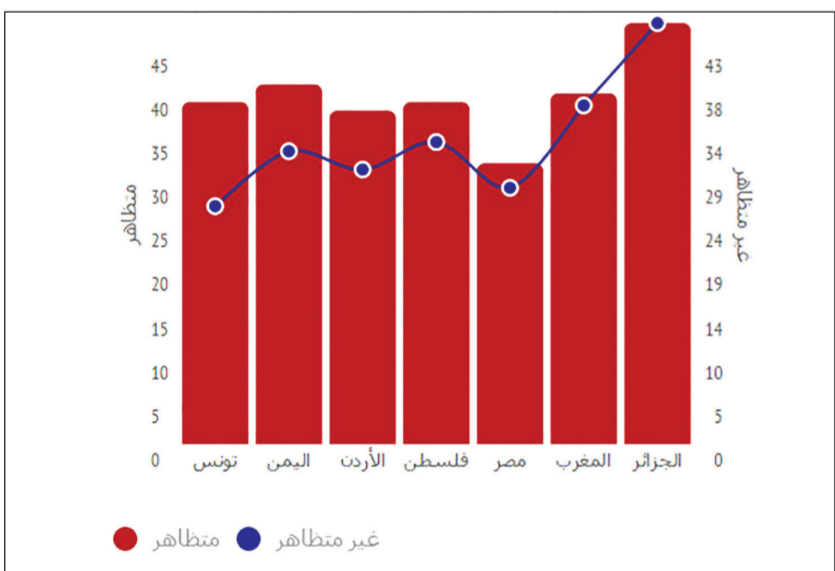
التخلي العربي

كانت الدول العربية تصدّر حتى فترة وجيزة بعض المواد الزراعية من قطن وقمح (وأيضاً قات وحشيشة)، وبعض «السياسة» بالإضافة طبعاً إلى النفط والغاز ومشتقاتها، فيؤمن لها ذلك القطع النادر لاستيراد كل البلبا.. إلا أنه يبدو أن كل تلك المواد أصبحت «متوفرة فجأة» وبكثرة في الغرب، فانتعرت أسعار الغاز والنفط أكثر من 50 في المئة، والقطن والمواد الزراعية الأخرى 30 في المئة تقريباً واختفت السياحة نتيجة الاضطرابات بعد الربيع العربي في مصر وتونس، علاوة على سوريا والعراق ولبنان. وبما أننا بلدان نستورد تقريباً إجمالي ما نستهلك من السلع، ارتأى البعض أن يحصل على القطع النادر من خلال تصدير «اللاجئين والحركات الدينية»، إلا أنّ هذا مكلف للغرب من دون أن يكون مثمراً لنا!

لقد دخلت المنطقة «العصر الحجري». انهيار الاقتصادي بعد السياسي على الإجاب، فكما في أفريقيا كذلك في الشرق، حروب أهلية وربما مجاعة في بعض الدول، ولا توجد أي دولة تستطيع أن «تنشل» المنطقة اقتصادياً، وسياسياً أو حتى إيديولوجياً. فالحاصل في الصومال والسودان يمتد بعد لبنان وسوريا إلى المنطقة كلها: العراق، اليمن، ليبيا الخ.. وإذا بقيت الحال هكذا لفترة من الزمن فقد تصبح «الأهرامات» الجديدة في دبي كشيلاها في مصر. كل الدول العربية التي لعبت، في لحظات تاريخية معينة، دوراً نهضوياً لم يعد لديها حالياً أي إمكانية لذلك. فالسيسى ليس بعيد الناصر ولا تستطيع مصر أن تكون



الشكل رقم 3: النسبة المئوية للفاثلون إنّ الوضع الاقتصادي يشكل أحد أهمّ تحديين يواجهان كيان الدولة



الشكل رقم 4: نسبة الفالون إنّ مدخلهم يكفي لتغطية نفقاتهم أو لإدخار

الأناضولية. وهذا قد يكون خطراً لاحقاً على أردوغان، إذ قد تطع هذه البرجوازية بـ «لبرلة» أكبر، وتكون صلة الوصل بين غولان والجيش التركي بمباركة من الإدارة الأميركية.

خلاصة

المنطقة العربية كانت وما تزال على طريق مسدود، تفتتت بسرعة، بينما تحقق الدول الإقليمية الكبرى المحيطة بالشرق العربي بعض الانتصارات: إيران في اليمن، تركيا في العراق (عبر امتداد داعش)، مع محاولة إعادة تأهيل الدور المصري العسكري في ليبيا، هذه الانتصارات تقرب تلك الدول من المواجهة فيما بينها، مع اختفاء المنطقة العازلة تلك، فعلى سبيل المثال، فإنّ قتال إيران في تريت هو مواجهة شبيهة مباشرة مع تركيا، وفي الجولان مع إسرائيل، وفي اليمن مع السعودية.

أما الولايات المتحدة فهي موجودة في الوسط، تحاول أن تمنع أي انتصار كبير للحلف التركي - القطري (الإخواني)، أو السعودي - المصري، أو الإيراني - العراقي. فستستخدم سعر النفط، والنووي الإيراني، والرسائل الأميركية كدوات ضغط على هذه الدولة أو تلك.. إلا أنّ الصدام الكبير أت، إلا إذا تفكّقت إيران وتركيا على تقاسم النفوذ على المدى المنظور، منها حصول تدخل عسكري مصري في الشرق الأوسط الجديد قد تعدل لمصلحة إيران بشكل أساسي وتربك بشكل ثانوي، على حساب دول الخليج.

وهو لن يتعدّل إلا بحصول متغيرات جديدة، كلها مستبعدة على المدى المنظور، منها حصول تدخل عسكري مصري في الشرق، أو انهيار الائتلاف الإيراني - الأميركي، أو ارتفاع كبير في سعر النفط.. أو الحسم العسكري في إحدى الدول.

شبل السبع

أستاذ الاقتصاد في جامعة السوربون - باريس

نفسها كنموذج لدولة إسلامية ديمقراطية ذات نمو اقتصادي كبير. فنتها بعد الربيع العربي الغرب، وخاصة الخارجية الأميركية (هيلاري كلينتون ولجنة الخارجية في الكونغرس) كقدوة للانظمة العربية المقبلة. إلا أنّ هذا النموذج التيموري الإسلامي الديموقراطي سقط مع سقوط الإخوان في مصر، نتيجة:

1- «اكتشاف» الأميركيان (تصريحات بايدن) أن تركيا هي ليس فحسب وراء امتداد داعش الأخير بل أيضاً رثتها (أين يباع النفط ومن أين تأتي الإمدادات؟).

2- النموذج الديموقراطي التركي سطحي جداً ولا يطال صلب المؤسسات الديموقراطية، سواء في الصحافة (من أكبر نسب اعتقال الصحافيين في العالم) أو بفضائح الفساد (ابن اردوغان نفسه)، أو في القمع العنيف للمتظاهرين (كما حصل في منتزه غازي وساحة تقسيم).

ولطبعاً المسألة الكردية.

يقف أن وضع اردوغان السياسي غير مهدد على الأمد القصير، إذ إنه بالتوازي مع ارتفاع دين القطاع الخاص، فهو استطاع أن يخفض ديون الدولة إلى مستوى متدن جداً مقارنة مع الدول الأخرى. وبالتالي تملك الدولة مبدئياً إمكانية الاستدانة، وهذا يمكنها من التدخل «لإنقاذ» القطاع الخاص إذا لزم الأمر. أما نفاذي الأزمة القادمة، فلا يمكن أن يتم إلا من خلال تخفيف السيولة والاستيراد، أي تخفيض النمو الاقتصادي وبالتالي خفض أرباح البرجوازية

1500 وحدة استيطانية جديدة ستنشأ في مستوطنة «رمات شلومو» شمال القدس، بعد المصادقة على قرار اللجنة اللوائية للتخطيط والبناء، وحسب القنطة العاشرة في التلفزيون الإسرائيلي، كان المشروع قد أُرْجى بسبب مطالب إجرائية كشق شوارع في المنطقة.

شوارع رام الله معبدة وأزقة القدس معتمة

أطراف فلسطين تتلاشى

من بين أخطر سمات مشهد التشتت الجغرافي والاقتصادي والسياسي الفلسطيني اليوم هو الانفصال التزايد لثلاثة «أطراف» من الأرض المحتلة عن «المركز»، أي كل من قطاع غزة والقدس الشرقية العربية والمناطق المصنفة «ج» في الضفة الغربية. ومع أن المناطق الأخيرة تتضمن 60 في المئة من مساحة الضفة، وأن القدس تعتبر أكبر وأقدم مدينة فلسطينية، بينما تعادل مساحة غزة 10 في المئة من مساحة الضفة ولكنها تأتي ما يعادل ثلث الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال.. فإن جميع هذه الأطراف تقع خارج ولاية السلطة الوطنية الفلسطينية، وهي هميشة اقتصادياً وخاضعة لحكم (أو حصار) إسرائيلي مباشر. هذه ليست وليدة ظروف سياسية جديدة فحسب، بل تعتبر من إفرازات إطار أوصلو المتفق عليها (أو المحتمة) بعد 20 سنة من سريانها.

وفي 1993، وافق المفاوض الفلسطيني على تأجيل البت بقضية القدس إلى مرحلة «الحل الدائم»، وعلى اقتطاع المناطق المسماة «ج» من مناطق نفوذه («أ» و«ب» و«ج» و«د» و«هـ») وإبقاء أهلها تحت الحكم العسكري الإسرائيلي، بينما بقيت إسرائيل تتحكم بمحاو التواصل الجغرافي بين غزة وبقية الأرض المحتلة. ونتيجة ذلك كانت أن جعل من السهل حصار قطاع غزة وفصل مصيره (كما القدس والمناطق «ج») عن المسار السياسي والاقتصادي والقانوني الذي تسلكه سلطة الحكم الذاتي في رام الله والمدن الفلسطينية الأخرى والقرى المحيطة بها. وتمارس هذه السلطة صلاحياتها الدولية والخدمية المحدودة بقدراتها والأمنية الداخلية على مساحة لا تتمتع بالسيادة عليها، وهي تقل عن ثلث مساحة الأرض المحتلة العام 1967 وربما عن 7 في المئة من أرض فلسطين التاريخية.

وعاصمتها القدس؟

نفترض أن الجانب الفلسطيني لم يكن يتصور بأن تصل الأوضاع إلى مثل هذه الحالة بعد عقدين من توقيعه صكوك أوصلو، لكن إسرائيل عملت بالتأكيد كل ما بوسعها لجعل هذه الأوضاع واقعاً من الصعب جداً التراجع عنه. ومع أن الانفصال قطاع غزة السياسي قد يكون قابل للمعالجة في حالة حدوث اختراق ما في المصالحة الوطنية العتيدة، وباستطاعة 10% في المئة من سكان الضفة الشرائطين في مناطق «ج» الوصول إلى بعض الخدمات والتواصل مع المجتمع الفلسطيني في مناطق «أ» و«ب»، فإن القدس العربية لم تعد عربية، ومكانة المدينة الاقتصادية والسياسية والثقافية التاريخية باتت في محب الریح. وانسلاخ القدس عن التيار الفلسطيني العام أفقد الأخير البوصلة والبرر والقدسية التي أشعرها الزعيم الشهيد ياسر عرفات بالاعتفان كان يردها في السنوات الأخيرة قبل رحيله: «للقدس رايحين، شهداء باللايين».

توصلت دراسة للأمم المتحدة شاركت بإعدادها في 2013 حول اقتصاد القدس العربية («اقتصاد الفلسطيني في القدس الشرقية: الصمود في وجه الضم والعزل والتفكك») إلى أن اتجاهات المؤشرات الاقتصادية (إنتاج محلي، عمالة، فقر، خدمات، إنشآت، الخ...) تدل على الاستعداد المنهج للقدس الفلسطينية من الدولة التي ضُمت إليها من جانب واحد، وفصلها في الوقت نفسه عن بقية الضفة الغربية المحتلة. ونتيجة لذلك، يجد اقتصاد القدس الشرقية نفسه في عالم منفصل تماماً عن كلا الاقتصادين الفلسطيني والإسرائيلي، اللذين يرتبط بهما. فهو غير مدمج في أي منهما، ومع ذلك فإنه يعتمد من ناحية البنيوية على اقتصاد الضفة الغربية لدعم إنتاجه وتجارته في السلع والخدمات وتوفير



«كل ما أرى جنب البلد بحسن هواها وبسمع صوت ناسها. كيف أنسى بلدي وهي بتحضن ضريح شيخ المقاومين عز الدين القسام... رح أصل أحكي عنها ليل ونهار لأولاد أولاد أوالدي».. (فاطمة غانم، مواليد بلدة «الشيخ» المهجرة (تصوير محمود غانم))

المختلفة (البلدية، لجان التخطيط، الضرائب والتأمين الوطني، جمعيات الاستيطان اليهودي والشرطة وقوى الأمن). وهكذا استتحيحت القدس الشريف أمام مطامع جعلها عاصمة لإسرائيل الأبدية من خلال محو هويتها العربية والإسلامية وتاريخها السياسي المركزي في نضال الشعب الفلسطيني ضد الاستعمار ومن أجل الحرية والاستقلال.

... بينما تنهض رام الله

وما يثير التساؤل والارتباك، هو أنه على بعد أقل من 20 كلم عن البلدة القديمة الراححة تحت تهديد التهويد، تنمو وتتوسع وتنظم مدينة رام الله /البيرة، المحتضنة لأبراج ومجمعات تجارية ضخمة ولعمارات عملاقة لوزارة الدولة والشركات والبنوك ومشاريع الإسكان الفخمة بأسماء لطيفة («الريحان» و«روابي» و«ريف» و«الحي الديبلوماسي»...) وغير مجهز بالموارد أو الأليات لممارسة نفوذه. فان محافظ القدس ووزير شؤون القدس غير مسموح له بالعمل داخل القدس علناً وغير مسموح له بالموارد أو الأليات لممارسة نفوذه. وهكذا نشأ فراغ سياسي وخدمي وازدواجية (بل ثلاثية) قانونية للقدس، تقضي بمحاولة السلطة التصرف رسمياً على أساس أنها جزء من «دولة فلسطين» ويتعامل الأردن معها ضمن المسؤوليات الهاشمية الضيقة تجاه الأماكن المقدسة، بينما الولاية السيادية الفعلية السارية هي تلك التي تفرضها إسرائيل كما نشأ من خلال قوانينها وأجهزتها الحكومية

أسري و«أسرة» ثقافية، وكل هذه الأزمات تفنقد إلى جهات عامة لمالحتها، ما عدا بعض المنظمات الأهلية الصغيرة الممولة من جهات مانحة أوروبية وأممية تقيم بعض البرامج الاجتماعية المحلية لسد الفراغ الخدماتي.

ومنذ إغلاق المؤسسة السياسية الفلسطينية القادة في القدس («بيت الشرق») في 2001 ورحيل الزعيم فيصل الحسيني الذي كان يوحد صوت المقدسين، لم تعد في المدينة «مؤسسات» عربية فعلية سوى «مستشفى القاصد» و «شركة كهرباء القدس»، وبعض كليات «جامعة القدس»، ثم «الأوقاف العامة» التابعة للحكومة الأردنية والمكلفة بإدارة الحرم القدسي الشريف والأوقاف العامة هنا وهناك. ومع أن السلطة الفلسطينية تحاول أن تلعب دوراً ما في القدس بوسائل التحكم عن بعد، فان محافظ القدس ووزير شؤون القدس غير مسموح له بالعمل داخل القدس علناً وغير مسموح له بالموارد أو الأليات لممارسة نفوذه. وهكذا نشأ فراغ سياسي وخدمي وازدواجية (بل ثلاثية) قانونية للقدس، تقضي بمحاولة السلطة التصرف رسمياً على أساس أنها جزء من «دولة فلسطين» ويتعامل الأردن معها ضمن المسؤوليات الهاشمية الضيقة تجاه الأماكن المقدسة، بينما الولاية السيادية الفعلية السارية هي تلك التي تفرضها إسرائيل كما نشأ من خلال قوانينها وأجهزتها الحكومية

الجدار) بالإضافة إلى ما يزيد عن 100.000 مقدسي يفلتون في الضواحي الشمالية الشرقية للمدينة (خارج الجدار) في مناطق تخضع قانونياً لبلدية القدس (مثل قلنديا وكفر عقب) أو لولاية السلطة الفلسطينية (مثل العيزرية وأبو ديس).

فبلدية القدس الإسرائيلية التي لا يتمثل فيها هؤلاء «المقيمين الدائمين» الفلسطينيين (كما يصنفهم القانون الإسرائيلي) لا تهتم كثيراً باحتياجاتهم الخدمية المختلفة. ويظهر ذلك في سوء توفير خدمات أساسية مثل جمع القمامة، تنظيم الشوارع الداخلية المملة من نواحي التخطيط والتعميد والإنارة والأرصفة، توفير الماء بانتظام للحارات الفقيرة، وهي تصامم بإصدار تصاريح البناء والترميم (وحتى تمنع دخول مواد البناء العادية إلى البلدة القديمة من دون تصريح مسبق)، وتمتنع عن توفير إسكان لذوي الدخل المحدود، بينما يتم عصر كل مواطن فلسطيني لدفع كافة الضرائب البلدية وفواتير الكهرباء والماء والغرامات وغيرها من التكاليف التي تجعل مجرد البقاء في المدينة عملية مكلفة وبطولية. وتضاف إلى ذلك نسب الفقر المرتفعة (ما يزيد عن 70 في المئة من فلسطيني القدس، بالمقارنة مع خط الفقر المطبق في إسرائيل)، والبطالة التي تنتشر بين الشباب بالوتيرة نفسها التي تفاقم مختلف المشاكل الاجتماعية من إيمان وجنح وعنف

فرص العمل، وهو في الوقت نفسه يعتمد قسراً على الأسواق الإسرائيلية التي يجب أن يخضع للوائح وأنظمتها، والتي تشكل مصدراً للعمالة والتجارة، كما تشكل القناة الرئيسية للسباحة المتجهة إلى المدينة.

وبحسب التقرير الأممي، قد أدت هذه العلاقات المتناقضة والمتعارضة فعلياً إلى ترك اقتصاد القدس الشرقية ليعين نفسه بنفسه ويتدبر أمره، بانتظار مصير تنميته المعلقة. فهو من جهة منفصل عن ولاية السلطة الفلسطينية، وهو خاضع من جهة ثانية لآ تملحه متطلبات السكان اليهود والاستراتيجيات الاستيطانية التي تنتهجها السلطات البلدية والحكومية الإسرائيلية. لقد بات المسار الاقتصادي للقدس الشرقية منحرفاً عن المسار الاقتصادي لبقية الضفة الغربية. وهذه الاتجاهات تطغوي على خطر جعل المفهوم المكس في قرارات الأمم المتحدة واتفاقات أوصلو، وهو أن قطاع غزة والضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، يشكلان كياناً إقليمياً وقانونياً واحداً، مفهومًا لم يعد له معنى.

هذا الوضع الشاذ للقدس لا يحمل فحسب مخاطر استراتيجية على مشروع الوحدة الفلسطينية والاستقلال الوطني والسيادة، بل يعكس أزمات اقتصادية واجتماعية عميقة ومزمنة يعيشها فلسطينيو القدس المحتلة والبالغ عددهم حوالي 300.000 نسمة (داخل

هل من خلاص؟

ليس في هذا السرد الكثير الذي يشجع على التفاؤل سوى مؤشرات هنا وهناك بأن هذا الشعب لن يستسلم، وهناك ثلاثة مشاهد عينية متواضعة تدل على شيء من الأمل أو الاتجاه المعاكس لمسار التشتت والانفصال: - عندما هب أهالي القدس في صيف 2014 على إثر مقتل الفتى محمد أبو خضير، لم يعكس ذلك فقط رغبة الانتقام والغضب ضد العنصرية والفاشية، أو أحوالهم الاجتماعية المميشة فحسب، بل كان بمثابة صرخة عفوية من المقدسين انهم ياقون ومستعدون لتحمل العقاب الحتمي لتردهم من دون الركوع، وانهم يستطيعون تدبير أمورهم الأصعب والأهم، وحيدين في الميدان إذا كان ذلك مصيرهم.

- خلال العواصف الثلجية في العامين 2014 و2015، أغلقت شوارع الأحياء العربية وأزقة البلدة القديمة، فعملت جرافات بلدية القدس على فتح شوارع الأحياء اليهودية، بينما نزلت العديد من الجرافات العربية (الخاصة أو التابعة لجمعيات) لفتح شوارع الأحياء الفلسطينية، وتولت مهمة الدفاع المدني الطوعي الأولي من دون إيجاز أو إشراف أو تمويل من أية جهات عليا.

- في النقطة الفاصلة بين القدس ورام الله، عند معبر قلنديا، شريان الحياة لألاف المقدسين الوافدين إلى رام الله يومياً للعمل أو التجارة أو الزيارة العائلية، فإن إهمال سلطات الاحتلال لترتيبات المرور والشوارع والاتجاهات المتضاربة للسير خلق منذ سنوات حالة اختناق مروري مخيفة، عجزت السلطة وتوتني بلبير والرباعية الدولية وال USAID عن معالجتها؛ وعلى الرغم من ذلك، فهناك ثلة من شباب قلنديا لولاهم لكان انقطع هذا التواصل الفلسطيني الحيوي، فهم يقفون ليلاً نهاراً على مفترقات شوارع المعبر الغيرة، ينظفون حركة السير قدر الإمكان، وسط الضجيج المستمر ومحاولات السائقين التحايل على تعليماتهم والاعتفاف حول قطع من المععبات الإسمنتية والحجارة وأطارات السيارات التي وضعوها وعليها لوحات حديدية تبرعت بها مطبعة محلية تحمل عبارة واحدة موجهة للسائقين العصبيين: أذكر الله!

وهذه هي البشرى السارة من قلب فلسطين.

رجا الخالدي

متخصص في التنمية الاقتصادية، عمل لدى الأمم المتحدة بين 1985 و 2013، ويعيقم الآن في فلسطين

كيف أسكتت الأمهات أطفالهن عام 48



- كلها، فقط بدون محمود.
- هاهها. أحسن، حتى اللعب بها وحدي.
- تخيل لو كان محمود لا يزال موجوداً؟
- لا لا، هكذا أحسن، كان سيمعني من اللعب بها.
- إذن ماذا يفعل الأطفال الطيعون؟ يشكرون الله لأن محمود اختفى. صح؟
- الله؟ ما دخل الله؟
- الله هو الذي جاء وأخذ محمود وأعطاك اللعب.
- لا يا ماما لا، أنت لا تعرفين شيئاً، الله ليس له دخل في الموضوع. نحن فقط في لحظة تاريخية، والبشر عادة ما يخفون في اللحظات التاريخية.
- لحظة تاريخية؟
- طبعاً يا ماما. لقد أصبحت لدينا دولة أخيراً.

(تحضنه وتبوسه وتدعو الله أن يحرسه من الحسد)

نص نائل الطوخى ورسم مخلوق

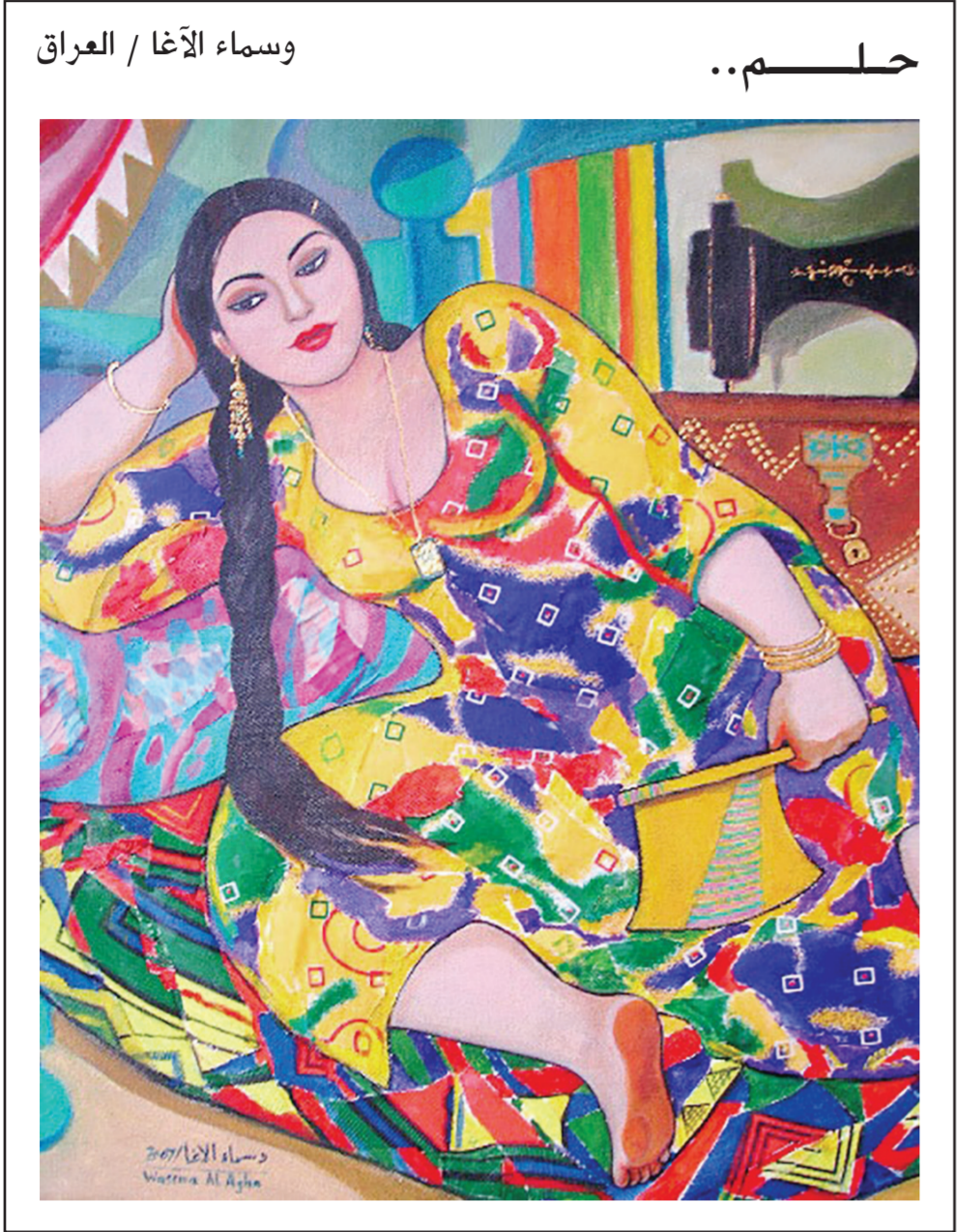
- أصبحت لنا دولة وليس هناك محمود. يا ماما أفهميني، أنا لا أريد أن ألعب مع الدولة، أنا أريد أن ألعب مع محمود، خذي الدولة وأعدي لي محمود.
- حبيبي، ألم يلفت نظرك شيء؟
- شيء؟ ما هو؟
- ألم يلفت نظرك أننا غيرنا البيت.
- صحيح يا ماما. هذا غريب جداً.
- ألم يلفت نظرك أن هذا بيت محمود؟
- صحيح يا ماما، كيف لم أنتبه.
- ألم يلفت نظرك أنك الآن في غرفة محمود نفسه؟
- أيوه أبوه صح.
- وكل هذه اللعب، هي لعب محمود.
- صح جداً، أذكر هذا القطار اللعبة، ومسند المياه هذا.
- وكل هذه اللعب أصبحت لك الآن.
- والوالا! كلها؟

- ماما أين محمود صاحبي؟
- ذهب يا جلعاد.
- أين ذهب يا ماما.
- لا أعرف، ولكن هذا شيء جيد.
- وأين حسن يا ماما؟
- اختفى هو أيضاً يا حبيبي، ومعه عمو أحمد وخالتي جميلة.
- هل اختفوا معاً؟
- نعم، يبدو كذلك.
- ومتى اختفوا يا ماما؟
- لا أعرف، ربما قرب الفجر، قبله أو بعده.
- وهل البشر عادة ما يخفون؟
- هذا لا يحدث طول الوقت، فقط في اللحظات التاريخية يا حبيبي.
- وهل نحن في لحظة تاريخية يا ماما؟
- بالتأكيد. لقد أصبحت لنا دولة أخيراً.



MAC

مليون و200 ألف طفل يماني مهددون بأمراض قاتلة بسبب توقف حملات التلقيح بالبلاد، وذلك بحسب اليونيسيف، التي أضافت أن 120 ألف طفل جديد يواجهون سوء التغذية الحاد نتيجة القيود المفروضة على الاستيراد والتي تعيق وصول الأغذية والأمصال، وكذلك بسبب القتال والقصف، علاوة على الـ 160 ألف طفل الذين كانوا أصلا في وضع سيئ.



حلم..
وسماء الآغا / العراق

يوم فاتح ماي، ويحدد الراتب باتفاق ثنائي تبعا للعرض والطلب، يوجد مئات الآلاف مثل هذه المرأة في المغرب. لقد جعلت ورقة اليد العاملة البشر رخيصا. الوضع صعب أذا فلماذا وصلت النقابات لهذا الضعف؟ هناك أسباب سياسية واقتصادية. صادف فاتح ماي يوم الجمعة المباركة، وهكذا صار مباركا على حكومة حزب العدالة والتنمية، فيبعد سقوط الأمطار الكافية، هوت أسعار النفط ثم هوت النقابات، تسود فكرة مفاهاه أن هذا عصر الإسلاميين، والإخوان المسلمون أفضل للمغرب من داعش. لذا فكل احتجاج يبدو كأنه تهديد لاستقرار السياسي السائد. المغرب جنة الآن مقارنة بما يجري في بقية العالم العربي. يقول المغاربة إن الرمد ولا العمى، ولا يمكن لوم السعيد بالرمد لأنه يخاف من العمى.

السبب الثاني اقتصادي. ففي شارع الجيش الملكي عمارتان متقابلتان، الأولى هي مقر نقابة الاتحاد المغربي للشغل والثانية هي مقر بورصة الدار البيضاء، وإنه لمن المصادف الدالة أن تتقابل عمارة الكادحين وعمارة رجال الأعمال، ويفصل بينهما شارع الجيش.

عمارة تمثل المهاجرين الذين لديهم يوم عيد واحد في السنة، مثل النساء اللواتي لديهن الثامن من آذار/مارس.

مقارنة أخرى: لعمال ثلاثون نقابة ولرجال الأعمال نقابة واحدة، لذا تحصل نقاباتهم على مطالبها من الحكومة بينما وضع نقابات الشغاليين يتدهور. مصير العامل في يد رب البورصة. لقد كان لتطور نظام الإنتاج الرأسمالي الأثر الحاسم في نشأة النقابات العمالية، وحين انتقل ثقل الاقتصاد من الصنع إلى البورصة فقد العامل نفوذه، صار الرأسماليون يهددون العمال بنقل مصانع النسيج إلى بنغلادش فصارت الحكومات تنازل رأس المال وحده.

من خطاب النقابات ذات القيادة الستالينية لا يبدو أنها تدرك التحولات الجارية. لقد استعاد الرأسمال سطوته، في حساب كتلة أرباح بورصة الدار البيضاء سنة 2014، حصلت اتصالات المغرب على 26 في المئة منها وحصلت الشركات العاملة في القطاع المصرفي على 42 في المئة منها. ربع الاقتصاد كلام ونصفه مصرفي. صار الاقتصاد الرقمي الافتراضي أقوى من الاقتصاد الواقعي القائم على الحقل والصنع. لذا صعب على النقابات الاحتجاج ضد حواسيب البورصة.

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
- الداعرة في سوريا سلطة الظل - أيمن الشؤفي
- النسوية الإسلامية في مصر: تحديات عديدة أمام تيار جديد - منى علام
- حفل لحرق الكتب في مدرسة مصرية - إيمان رسلان
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

عيد العمال بين النقابة والبورصة

بالتغيير وتحقيق العدالة الاجتماعية. وكان هذا الموقف يلهم الجماهير التي تنزل مكرما للشارع وسط زغاريد النساء وروح حماسية تصمد في وجه الشمس الحارقة.. حدث هذا مرارا في شوارع الدار البيضاء التي تحتضن أحياء صناعية كبيرة هي معقل الحركة النقابية المغربية. كان ذلك في أيام عز النقابات. حينها كان اليسار هو القائد الأول للعمل النقابي على المستوى اليدياتي حتى حين تكون القيادة إصلاحية نصف يمينية. مع الزمن لاحظ الناس أن لكل حزب نقابة، يحركها حين يكون في المعارضة ويضعها في الواجهة حين يكون في الحكومة، وبهذا الشكل فالنقابة فاقز للعراك، وعندما تنحط الظاهرة الحزبية تتبعها الظاهرة النقابية. لقد صار للانتخابات وزن في المسألة، كانت النقابات فيلدا تركبه الأحزاب لايتزأ السلطة.

تراجعت صورة المناضل وصعدت صورة السمسار، وهو الذي يستغل كل حدث ومحطة لتسعين نفسه. تزعزت صورة إحدى النقابات حين داست ائمة زعيمها عمال شركتها بسيارتها. فعرّف الناس أن مليارديرا يتزعم العمال ويدافع عن حقوقهم، فهم الناس أن فاتح ماي لا يؤثر في مصير عامل خدم ثلاثين سنة في معمل وحين تقاعد صار بانسا، يشعر بالوجود. لذا فلا زعامة اليوم للطبقة العاملة لأن شكل هذه الطبقة هلامي أصلا. هكذا صار صعبا على النقابات تعبئة الكتل البشرية مثلما في السبعينات. يتمنى الكثيرون أن يعود فاتح ماي لآيام العز لكن ما عاد الفرد يؤمن إلا بنفسه. فقد الثقة في الشأن العام. صار ينظر للنضال كتضييع للوقت وكإيلاء، والحزق الآن هو أن يبحث كل فرد عن مصلحته الأنية.

لذلك ظهرت أشكال لاستغلال الحدث، فمثلا هناك مطعم يدعو زبائنه لسهرة غنائية بمناسبة فاتح ماي، وعلى صورة الإعلان مغن شعبي محاط براقصات شعبيات. واضح أن صاحب المطعم لا يميز بين عيد العمال وعيد الحب.

تسلم رواد فيسبوك المغربية هذه الصورة لتفسير غموض المشهد النقابي. إليكم تمرين في تحرير العبد وأوجاع الكوميديا النقابية: النقابات تقاطع العمال. هناك نقابات هزلية ونقابات جادة. دون احتجاج فاتح ماي أين سيقضي المقاطع يومه، في القهى أم سيلتحق بعمله أم سيتابع نومه؟

سيادة السخرية وغياب الاحتجاج ليسا علامة على الرضا. فمثلا صوت العاطلين أعلى من صوت العمال. يظن العاطل أن على العامل أن يفرح مهما كانت ظروفه، في القهى حيث أجلس تعمل امرأة تغسل الكؤوس تحصل على حوالي خمسين دولارا أسبوعيا. وهي غير مسجلة في صندوق الضمان الاجتماعي، ويدفع لها صاحب القهى أجرها نقدا، بلا عقد عمل، وهي تعمل

صباح الجمعة في قلب الدار البيضاء، أفق أمام منصة وكراسي وإلآفة كبيرة كُتب عليها «الركيزات النقابية الثلاث تقاطع احتفالات فاتح ماي احتجاجا على السلوك للإمسؤول تجاه قضايا ومطالب الطبقة العاملة». قطعت شارع الجيش الملكي لألتقط صورة للمنصة من الجهة الأخرى. يتابع رجال الشرطة باستغراب شخصا يصور منصة فاتح ماي. البوليس حاضر والنقاييون غائبون. البوليس واحد والنقابات متعددة.

توجد في المغرب نقابات كثيرة، حقيقية وورقية. والنقابة في تجمع أشخاص يمارسون نشاطهم في المهنة نفسها او القطاع، ويهدف تجمعهم للدفاع عن مصالحهم المادية والمعنوية وتحسين شروط عملهم. عرف المغرب تيارين نقابيين، تيار نقابي نوري يريد تغييرا جذريا، جعل من النقابة — وهي إطار معني بروجوازي افرضه المجتمع الرأسمالي — منبرا سياسيا لا يختلف عن الحزب. وتيار إصلاحى يتفاوض ويهدد بالإضراب كتوقف جماعي عن العمل. التيار الأول يسمى التيار الغائى «النقابات الخبزنية».

أما النقابات التي ابتكرت مقاطعها الأول من أيار / فاتح ماي فهي أول الإتحاد المغربي للشغل بقيادة ميلودي موحاريق الولود في عهد ستالين، وفاتيا «الكونفدرالية الديمقراطية للشغل» التي عرفت زعيميا أوحدا منذ نشأتها هو نوبير الأموي والمولود في عهد ستالين. النقابية الثالثة مننشقة عن الثانية لأسباب سياسية وهي الفدرالية الديمقراطية للشغل. وزعيمها الأوح مد منذ نشأتها ولد في عهد لم أعثر عليه..

حسب النقابات المقاطعة، فإن السبب هو كون الحكومة الإسلامية لم تقدم شيئا للطبقة العاملة، بل هي تجزم على مكتسبات مثل تمديد سن التقاعد، زيادة الاقتطاعات من الأجور لإتقاد صندوق التقاعد من الإفلاس الوشيك.. ردا على هذا السلوك الحكومي اللامسؤول قاطعت النقابات فاتح ماي.

يفترض هذا التفسير أن كل الحكومات السابقة كانت تكفي مع العمال وتردد معهم شعار «حقوقى دم في عروقى». ثم لو كان سلوك الحكومة مسؤولا هل سيكون الاحتجاج ضروريا في فاتح ماي؟

حسب الأدبيات الغربية فـ «فاتح ماي» احتفال بالنسبة للنتفريون، وهو عرس تضالي بالنسبة لليسار. حفل وعرس، هناك خلل في تسميات، ما كان صراعا صار تسميعا. لذلك تغيرت صورة فاتح ماي بين ما يسميه المناضلون أيام العز وما يجري هذه الأيام.

في أيام العز كان هناك مناضل — أي شخص يحب وطنه ومستعد للتضحية في سبيل المصلحة العامة — ينزل للشارع ضد هضم حقوق الطبقة العاملة ومطالب

العراق البهي بريشة وسماء الآغا



الاحتفال بالخضر
الياس بشموع
طافية على وجه
النهر

باص العشار
الخشبي
في البصرة



مدونات قصرة جاك.. القصيرة

في العام 1940، تبرع زهدي أبو الجبين، أحد أثرياء يافا، بمبلغ كبير لتمويل مبنى مكون من سبعة طوابق أقيم بين بيارات البرتقال المحيطة بالرملة، المبنى الضخم ووفق ما قاله الحاج أمين الحسيني يوم الافتتاح سيخصص لرعاية وتدريب أبناء المهاجرين الذين سقطوا في إضراب 36، وسيحصل اسم «ملجأ الرجاء».

أبو الجبين قدّم هذا التبرع السخي جيّبا للعار الذي طال سمعته، والتفاقا على التبرع الذي قابلته به أسرته بعد أن علم أهالي يافا أنه باع أراضيه لليهود. لكن الفرصة لم تتح للمبنى أن يكون كما أراد الحاج أمين. فقد استولت عليه الحكومة الإنجليزية فور إتمامه، لتتخذ منه مقرا ومركز تدريب لجيشها. في العام 1947 أخلت القوات الإنجليزية ملجأ الرجاء وفقا لخطة إعادة الانتشار المهمة للنسحاب الكلي، فاستولى عليه المقاومة حسن سلامة واتخذة مركزا لقيادة القطاع الغربي من المنطقة الوسطى. في صيفه العام بدأ الجنود الإنجليزي بالاستعداد للعودة إلى بلادهم.

جوازات الجنود الإنجليزي تحمل أخطام دولهم لفلسطين، لكنهم لن يخرجوا منها، بل سيخرجون من بلد لم يدخلوه قط «إسرائيل»، الجندي الاسكتلندي جاك، قرّر أن يكون على النقيض مع كل عقل سلبى، قرر أن يرفض الخروج من بلد لم يدخلها، ففرّز إلى الرملة ليبقى مع أصحاب البلد التي دخلها. أقام جاك في ملجأ الرجاء مع المهاجرين من أبناء البلاد، والتطوعين الألمان واليوغسلاف تحت إمره حسن سلامة. كثيرا ما حاول اليهود مهاجمة الملجأ، وكانت وسيلتهم الوحيدة للاقتراب في المصفحات محلية الصنع.

وقد كانت المصفحات تلك شديدة الفاعلية في وقتها، وشكلت أحد أهم عوامل التفوق اليهودي. في مثل هذه الأيام من العام 1948 تمكن جاك وحيدا، ومتمسحا برشاش برن من قتل 6 مهاجرين

وغنم أول مصفحة، سلّمت حينها إلى حرفيي الخراطة والحداثة في اللد، والذين تمكّنوا بالفعل من تصفيح الشاحنات والجرارات العربية على النحو نفسه.

ولم تكن هذه المرة الوحيدة التي يفنم فيها جاك مصفحات وأسلحة من اليهود، فقد فعلها مرتين بعد ذلك، ساد الاعتقاد أن اليهود قد بأسوا من إمكانية مهاجمة الملجأ. لكن جاك أقنع حسن سلامة أنهم لن يتعاضبوا مع الملجأ لكونه يشرف على ثلاثة حصون مجاورة، وسيعيدون الكرة، لكن متسللين. ولذلك تجب إزالة بيارات البرتقال المحيطة بالملجأ.

اجتمع حسن سلامة مع أهل المدينة في الجامع الأبيض محاولا إقناعهم بضرورة إزالة البيارات، لكن لم يوافق أحد على ذلك، معللين رفضهم بأنه لن يجرؤوا على التسلل ليلا إلى الملجأ.

بعد أسبوع، وفي 5 نيسان، تسللت مجموعة من المقاتلين اليهود محمّلين بكمية ضخمة من الأنغام، وقاموا بتفخيخ الملجأ بعد أن ذبحوا الحراس وعلقوا رؤوسهم على سور المبنى الخارجي.

تفجير الملجأ كان من القوة، بحيث حطم جميع نوافذ بيوت الرملة، فخرج الجميع ليشاهدوا طوابق المبنى السبعة وقد تداعت فوق بعضها البيض. جاك أصيب بحالة هستيرية وشوهد هو ومتطوع آخر، فوق ركاب الطابق السابع، ممسكا برشاش البرن، ويصرخ باكيا: كان عليكم السماح لنا بإزالة البيارات، في 12 تموز 1948 وبعد سقوط القطاع الغربي من وسط البلاد، دخلت القوات اليهودية تتصدها عربية مصفحة ذات برج ومدفع من عيار طليلين، غنمها اليهود من الجيش الأردني، أسموها فيما بعد «أوم نمر»، الغمر المرعب. جالت «أوم نمر» شوارع الرملة متقدمة القوات اليهودية ومطلقة نيرانها في كل الاتجاهات لتثير الروع في نفوس من تبقى في المدينة.

أسر جاك مع الرجال الذين تبقىوا في المدينة، ونقل مع الشباب العرب من اللد والرملة إلى معسكر

من صفحة اسماعيل أبو شمس على فايسبوك